موازنة بين خطب العصر الاسلامي وخطب العصر الاموي وفق المنهج النفسي الإمام علي بن أبي طالب والحجاج بن يوسف الثقفي انموذجاً

م.د. شهاب جمعة ابراهيم

المديرية العامة لتربية نينوى

البريد الالكتروني :ahmddamrjee@gmail.com

الملخص:

تنصب هذه الدراسة بموازنة بين خطب العصر الإسلامي وخطب العصر الأموي وفق المنهج النفسي ، الامام علي بن أبي طالب والحجاج بن يوسف الثقفي أنموذجاً .

تناولت الدراسة هذه بتقديم توطئة مهاد نظري عن المناهج النقدية الادبية ، ومن ثم بيّن الباحث العلاقة بين الادب وعلم النفس وبعد ذلك قام الباحث بتوضيح مفهوم تحليل النص الادبي وفق المنهج النفسي لما يقوم عليه صميم الدراسة ، وبعد ذلك تم عرض بعض تعاريف العلماء أمثال بود وهولستي وبيرلسون وغيرهم بتحليل النص ثم بيان كيف تكون عملية تحليل النص الادبي وأهم التقنيات التي يتكئ عليها الباحث بمهمه عملية التحليل ، وبعد ذلك تصدى الباحث بخوض غمار التحليل بعد عرض خطبة كلاً من الخطيبين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والحجاج بن يوسف الثقفي مبينا الأساليب والصور البيانية الناجمة من الانفعالات النفسية مع بيان نوع هذه الانفعالات التي ألقت بظلالها على النص وهذه الانفعالات أكانت ايجابيه ام سلبية وذلك بالتحكيم على النص من خلال تطبيق المنهج النفسي ثم خلصت الدراسة بمجموعة من النتائج التي توصل اليها الباحث في نهاية دراسته .

الكلمات المفتاحية : المنهج النفسي الاصل والمفهوم _ الادب وعلم النفس _ تحليل النص وفق المنهج النفسي.

A balance between the sermons of the Islamic era and the sermons of the Umayyad era according to the psychological approach of Imam Ali bin Abi Talib and Al-Hajjaj bin Yusuf Al-Thaqafi A model.

D.Shehab Jumaa Ibrahim
General Directorate of Education in Nineveh Governorate
Email: ahmddamrjee@gmail.com

Abstract

This study focuses on a balance between the sermons of the Islamic era and the sermons of the Umayyad era according to the psychological approach, with Imam Ali bin Abi Talib and Al-Hajjaj bin Yusuf Al-Thaqafi as examples.

The research dealt with this by providing a theoretical introduction to literary critical approaches, and then the researcher explained the relationship between literature and psychology. After that, the researcher clarified the concept of analyzing literary text according to the psychological approach to what the core of the research is based on. After that, some definitions of scholars such as Budd, Holsti, and Berelson were presented. And others by analyzing the text and then explaining how the process of analyzing the literary text is and the most important techniques that the researcher relies on in the task of the analysis process. After that, the researcher began delving into the analysis after presenting the sermons of each of the preachers Imam Ali bin Abi Talib, peace be upon him, and Al-Hajjaj bin Yusuf Al-Thaqafi, indicating the methods and graphic images resulting from psychological emotions, along with an explanation of the type of these emotions that cast their shadows on the text, and whether these emotions were positive or negative. By judging the text by applying the psychological approach, the research concluded with a set of results reached by the researcher, which he stated in the conclusion.

Keywords: psychological approach, origin and concept - literature and psychology - text analysis according to the psychological approach.

المقدمة :

يعد الأدب عامة والأدب العربي خاصة بحراً لا ينضب ، ومن العوامل التي جعل الأدب بحيوية دائمة هو دراسته وكشف مواطن جماله ، وبعد التوكل على الله قمت في هذه الدراسة بعمل موازنة بين خطب عصري الإسلامي والأموي وفق المنهج النفسي إذ آثرت أن أرتئي من كل عصر خطيبا للموازنة، فاخترت من العصر الإسلامي أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، ومن العصر الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان اختياري لهما لأسباب منها أن كلا منهما تولى العراق ولاسيما الكوفة ، وأن لكل منهما خطباً في أهل

العراق ، هذه كانت نقاط التقاء بينهما ، اما النقاط الافتراق بينهما أن الإمام علي تربى في البيت النبوي ، بينما الحجاج تربى في البيت الأموي ، وكل هذه الامور كان لها صداها النفسي ألقى بظلالها على نفسيهما ، وقد مهدت قبل دراسة خطبهما بتقديم مهاد نظري عن المناهج السياقية متوقفاً عند المنهج النفسي ، وبعد ذلك بينت علاقة الأدب بعلم النفس ومن ثم بينت مفهوم تحليل النص وفق هذا المنهج ، وقدمت بعض تعاريف العلماء لتحليل النص ، ثم بعد ذلك بينت كيف تكون عملية التحليل ، وما هي اهم التقنيات التي يستند عليها الباحث للقيام بعملية التحليل ، وبعد ذلك قمت بخوض غمار التحليل ، اذ قمت بعرض خطبة كلا منهما ، وبعده تناولت كلاً من الخطبتين ، مبيناً الأساليب والصور البيانية الناجمة من الانفعالات النفسية هل كانت ايجابية أم سلبية من خلال الانطلاق من النص حتى انتهيت في نهاية الدراسة الى جملة من النتائج وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطواتي ويأجرني على عملي هذا وأن يوفقني في أموري ، وما توفيقي الا بالله ، والحمد لله رب العالمين

المطلب الاول : المنهج النفسي الأصل والمفهوم

تعددت مناهج النقد الأدبي الحديث وتطبيقاته في النص ، فمن هذه المناهج نذكر على سبيل المثال : المنهج التاريخي والمنهج التأثري ، والمنهج الاجتماعي ، والمنهج النبوي ، والمنهج النفسي الذي سنتوقف عنده ، وهذه المناهج تسمى بالمناهج السياقية .

لقد برز المنهج النفسي " في مطلع القرن العشرين مع تأسيس علم النفس التحليلي على يد فرويد "[١]. يبد أن بعض النقاد عزا جذور هذا التيار النفسي إلى أرسطو المعلم الأول عندما رأى العلاقة القائمة بين الأدب والنفس الانسانية[٢].

اذن يبدو أن المنهج النفسي وإن كان وليد القرن العشرين إلا أن له امتداداً في العصور السحيقة يصل إلى أفلاطون وارسطو "أما مصطلح النقد النفسي فقد وضعه الفرنسي شارل موران عام ١٩٤٨ ليبلغ في هذا المنهج أقصاه معلناً استقلاله في دراسة الانتاج الجمالي "[٣]، كما أنه يعد الناقد الفرنسي سانت بيف " من الممهدين لظهور المنهج النفسي وذلك لأنه ربط بين حياة الأديب وشخصيته ونتاجه " [٤].

تأسيسا لما تقدم يمكن القول : إن علاقة علم النفس بالأدب علاقة وطيدة ، ومن خلال هذه العلاقة يمكننا فهم الأدب والوصول الى مكامن النص ، وأن هذا المنهج (المنهج النفسي) يتكفل من خلال أدواته تحليل النص الابداعي ، وكشف العلاقة النفسية بين النص ومنتجه .

أولا : الأدب وعلم النفس

لا يخفى علينا ان الأدب فنّ تعبيري رفيع ينتجه الإنسان الراقي يهدف التأثير في الوجدان والعاطفة[٥]، بحيث إن الأديب الناجح سواء كان كاتباً او شاعراً أو خطيباً ينتقي ألفاظاً عذبة مستساغة ، وينظم عبارات رصينة تؤنس الأسماع ، وتؤثر في النفوس [٦] ، إلا أن الدراسات النفسية ترى "الصلة الوثيقة بين شخصيات الفنانين والأدباء وخصائص نتاجاتهم "[٧] ، ولذا يرى " الفريديون العمل الفني على أنه وثيقة يكشف تحليلها عن القوى النفسية اللاشعورية في شخصية الفنان كما ربطوا بين العمل الفني وما يعرف أو يستنتج عن التكوين النفسي للفنان " [٨]

بما أن الأديب يعيش في بيئة معينة فلا شك في أن هذه البيئة تجارب وأحداث ومشاهد تصادفه فيتأثر بها وينفعل معها ومن ثم يعبر ويحرر [٩] . كلّ هذه الأمور تجد الأديب متأثراً بها ، وهذا التأثر النفسي لا ريب في أنه ينعكس ويلقي بظلاله في انتاج الأديب ، وهذا ما سنلمسه في تحليل النص الابداعي _ إن شاء الله تعالى _ ثمة أمر آخر تجدر الاشارة اليه وهو أن الأديب لم يكن وحده متأثراً نفسياً وانما يعيش في بيئة وفي وسط مجتمع يشتركون معه ويتقاسمون معه هذه الأحداث والمشاهد والتجارب وعليه فان الاديب الناجح ينبغي أن يكون على معرفة من الحاجة النفسية للملتقي وأن يراعي الأمر .

عليه يمكن القول " إن علم النفس الأدبي هو علم يبحث في عقل الإنسان من حيث كونه معبراً عن أفكاره بأساليب لغوية راقية ، أو مقدراً لتعبير الناس عن افكارهم بتلك الاساليب " [١٠]

ثانيا : مفهوم تحليل النص وفق المنهج النفسي

إن تحليل النص او ما يسمى بتحليل المحتوى في مجال علم النفس هو عبارة عن طريقة بحث معيارية ظهرت في التنويع الاول من القرن الماضي في أمريكا لدراسة محتوى الصحف الأمريكية ، وما أن لبثت حتى امتدت دراسات تحليل النص او المحتوى في مسرحيات شكسبير خلال الحرب العالمية الثانية [١١] .

ثالثا : بعض التعريفات لتحليل النص وفق المنهج النفسي

لقد أهتم باحثو الغرب بمفهوم تحليل النص وقدموا تعريفات عدة فمن هذه التعريفات نذكر على سبيل المثال لا الحصر :

_ بود (Budd) يقول : " إن تحليل المحتوى أسلوب منظم لتحليل مضمون رسالة معينة وأنه اداة لملاحظة وتحليل السلوك الظاهر لاتصال بين مجموعة منتقاة من الأفراد القائمين بالاتصال " [١٢] .

_ هولستي (Holsti) يعرف تحليل النص وفق المنهج النفسي بقوله " تقنية للقيام باستنتاجات عن طريق تحديد خصائص الخاصة او المحددة للرسائل بشكل موضوعي ومنهجي " [١٣] .

_ بيرلسون (Berlson) يرى بأنه ((وسيلة من وسائل البحث تصف المحتوى الظاهر لاتصال بأسلوب موضوعي منهج وكمي)) [١٤] .

_ كريبندروف (Krippendorff) يقول بأنه ((أحد الأساليب البحثية التي تستخدم في تحليل المواد الإعلامية بهدف التوصل الى استنتاجات صحيحة " Valid " ومطابقة في حالة إعادة البحث أو التحليل)) [١٥] .

رابعاً : عملية تحليل النص

لخوض غمار تحليل نص ولا سيما الأدبي منه تتطلب تقنيات منهجية ، وقد حدد المختصون بهذا الشأن أسلة عدة توجه للنص والتي من خلالها يمكن تحليل النص وفق المنهج النفسي ، وهذه الاسئلة هي ((من، وماذا ، وكيف ، ولمن)) [١٦] ، فمن طرق السؤال ب" من " نكشف طبيعة المنتج أو الأديب ، والظروف المحيطة به ، وأصوله ورغباته وعلاقته بالآخر [١٧] ، أما السؤال ب " ماذا " ((يتعلق بدراسة المضامين المرتبطة بالأفكار والاتجاهات السائدة من خلال الوقوف على معطيات والاثبات والنفي في مكنون الخطاب)) [١٨] ، وأما السؤال ب " لمن " ((يحدد نوع المرسل إليه ليتم من خلاله تحديد الاتجاهات والقيم السائدة لدى متسلم الرسالة)) [١٩] ، والسؤال ب " كيف " ((يهتم بنوع الرسالة كلمة ، أو صورة ، أو صوت ، والجرعات الخطابية التي يمكن إذ تقدم الى الجمهور ، كان تكون عن طريق تكثيف الاتصال او تقديمه وفق تدرج زمني محسوب)) [٢٠] ، وبعد تطبيق هذه الأسئلة في نص ما فصل من خلالها الى " النتيجة " وهذا الأمر مرتبط بمدى تأثير الخطاب في الجمهور ، كما أن هذا التأثير أو النتيجة يظهر صداه بتقبل الجمهور واشباع حاجاتهم من خلال ما قدمه الأديب ، فالعملية إذن ليس احادية الجانب ، بل تكمن بين المرسل والمرسل اليه [٢١] .

وبناء على ما تقدم يمكن القول : ثمة أمران في النص وهما المحتويات الظاهرة ، ومعناه الكامن ، فالظاهر يكمن فيما عناه المنتج في كلامه أو كتابته ، بينما المعنى الكامن يكمن فيما كان يقصده المبدع في كلامه أو كتابته [٢٢] .

المطلب الثاني : التحليل وفق المنهج النفسي .

لقد سبق وإن تقدم أن النص لم يكن منقطع الصلة من منتجه وما يعتريه من ضغوطات نفسية التي ألقت بظلالها على النص ، فدراسة النص على وفق المنهج النفسي يفضي بنا الى دراسة ((الجزء الداخلي للشخصية مع ما يتصل بالعقل الباطن أو اللاشعور ، والظروف المحيطة به وما يعانيه من المشكلات وما ينتجه من الإدراكات والدوافع والانفعاليات ، مصورة بالسلوك الحاصل من جملة العوامل المستقلة والثابتة)) [٢٣] ، وهذه الأمور ستظهر جلياً – إن شاء الله – من خلال الموازنة بين خطب الإمام علي بن ابي طالب ،

والحجاج بن يوسف الثقفي ، ولكي تكون الموازنة أكثر دقة سأحاول جاهداً أن تكون وحدة الموضوع بين خطب الإمام علي وبين خطب الحجاج .

ففي خطبة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب يقول في ذم أهل العراق ولاسيما أهل الكوفة :

((أما بعد بأ أهل العراق ، فإنما أنتم كالمرأة الحامل ، حملت فلما أتمت أملصت ، ومات قيمها ، وطال تأيمها ، و ورثها أبعدها أما والله ما أتيتكم اختياراً ، ولكن جئتُ اليكم سوقاً ، ولقد بلغني أنكم تقولون : (عليّ) يكذب ، قاتلكم الله ! فعلى من أكذب ، أعلى الله ؟ فأن أول من أمن به ! أم على نبيه ؟ فأنا أول من صدقه ، كلا والله ، ولكنها لهجة غبتم عنها ، ولم تكونوا من أهلها ، ويلُ أمه كيلاً بغير ثمنٍ ! لو كان له وعاءُ ، ولتعلمن نبأه بعد حين)) [٢٤] .

أما الحجاج بن يوسف فيقول في خطبةٍ له عندما ولي الكوفة : ((أيها الناس : إما نحتمل لكم لغوبة ما لم يكن عقد راية أو وثوباً على منبر ؛ هذا عمرو بن سعيد وحقه حقه وقرابته قرابته، قال برأسه هكذا (ورفع رأسه) فقلنا بسيفنا هكذا (وأشار الى الأرض) ،فإني لست بالخليفة المستضعف (يعني عثمان) ولا بالخليفة المداهن (يعني معاوية) ولا بالخليفة المأفون (يعني يزيد) ألا وإني لا أداوي هذه الأمة الا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم ! وأنكم تحفظوننا أعمال المهاجرين الأولين ولا تعملون بها في أعمالكم ! وتأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك في أنفسكم والله لا يأمرني أحد بتقوى بعد مقامي هذا الا ضربت عنقهُ)) [٢٥] .

اذا ما قمنا بدراسة نصي الإمام علي (عليه السلام) ، والحجاج وفق المنهج النفسي سنلمس الاثر النفسي مبيناً على النصين ، ففي خطبة الإمام عليه السلام قوله : ((يا أهل العراق ، فإنما أنتم كالمرأة الحامل حملت فلما أتمت أملصت ، ومات قيمها ، وطال تأيمها ، و ورثها أبعدها)) [٢٦] ، هنا يشبه الإمام علي عليه السلام أهل العراق بالمرأة الحامل التي بعد أن أتمت الحمل أسقطت جنينها [٢٧] ، هذا التشبيه له منشأ نفسي مما دفع الإمام علي عليه السلام الى هذا القول ، وهذا التشبيه ينبئنا أن الإمام عليه السلام ساخط على أهل الكوفة بدليل أن هذا تشبيه أفاد التوبيخ ، فهو يوبخهم على تركهم الجهاد ضد أهل الشام كما يوبخهم على تخاذلهم [٢٨] ، فالشي الذي يؤكد على ضغطه النفسي ، وشدة انزعاجه هو تشبيههم بالمرأة الحامل ، ويبدو أنه عليه السلام انفعاله النفسي الشديد قاده الى أن يوبخهم أكثر وذلك عندما بيّن حالهم من خلال تشبيههم بهذه المرأة الحامل التي لم تستطع أن تحافظ على جنينها ، بل أسقطته بعد أن أتمت الحمل .

وتشبيه الإمام عليه السلام لم يكن اعتباطيا، بل ثمة دافع أثار ما في نفس علي بن أبي طالب من انفعالات حتى أفرغها بهذا القالب التشبيهي ، ولذا يقول سيبرمان العالم النفساني الانكليزي : ((إن السبب المباشر في استحضار الأشياء وتواردها على الذهن هو ظاهرة تداعى المعاني التي يظهر أثرها في التشبيه)) [٢٩] .

ولم يكن الانفعال النفسي للإمام علي عليه السلام في هذه الخطبة من الصعود الى النزول ، بل نجده عليه السلام في تصاعد انفعالي بدليل يُتبع قوله بقسم وذلك عندما قال : ((أما والله ما أتيتكم اختياراً ، ولكن جئت اليكم سوقاً)) [٣٠] ، وهذه الجملة تتبع سابقتها وهي عبارة عن حلقات غضب وانفعال نفسي للإمام علي عليه السلام بعد أن أثاروا غضبه بتخاذلهم ، وهو أنسب ما يكون عند القائد المحارب كما يقول أرسطو : ((والمحارب يغضب من يستهين بأمور الحرب)) [٣١] ، وثمة أشياء تكشف عن الانفعال النفسي للإمام عليه السلام منها استعماله عليه السلام أسلوب القسم ، وهو أقرب ما يكون للنفس المنفعلة ، ومن مظاهر انفعاله عليه السلام استعماله لفظة (سوقاً) إذ تدلّ على سوق الماشية من خلفها على المسير [٣٢] ، وهذه اللفظة ودلالتها تكشف انفعاله النفسي بحيث لم يعمد الى استعمال لفظة (جبراً) ، وإنما استعمل (سوقاً) لينبئ على متلقيه أنه شديد الانفعال ، فيؤثر بذلك على متلقيه .

ويتابع الإمام عليه السلام كلامه فيقول : ((ولقد بلغني أنكم تقولون علي يكذب ، قائلكم فعلى من أكذب ، أعلى الله ؟ فأنا أولُ من آمن به أم على نبيه فأنا أول من صدقه ، كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها)) [٣٣] ، ففي هذا المقطع من كلام أمير المؤمنين لم تقلّ الحدّة النفسية ، ولاسيما عندما بلغه كلامهم بأن علياً عليه السلام يكذب ، ولعلّ هذه الحدّة والضغط النفسي دفعته إلى أن يدعو عليهم (قاتلكم الله) ، وفي هذا الموضوع يكشف لنا أمير المؤمنين عن طبيعة نفوس هؤلاء الناس كيف أنهم حملتهم نفوسهم الشريرة إلى قول بأن علياً يكذب ، وهو يدحض مزاعمهم بقوله (فعلى من أكذب ، أعلى الله فأنا أول من آمن به أم على نبيه فأنا أول من صدقه) ، وهنا أيضا يظهر الأثر النفسي في قول الإمام عليه السلام إذ يكشف لنا تراكمات الماضي كيف تربى في حجر النبي عليه الصلاة والسلام وأنه أول من آمن بالله ، وهنا يبدو لي أن الحزن يطفح في نفس الإمام عليه السلام بعد أن رموه بالكذب وهو أبعد ما يكون عنه كونه أول من آمن بالله وتربى في بيت الوحي منذ صغره ، حتى يعضد قوله عليه السلام ب (كلا والله) .

وبعد ذلك يشير عليه السلام إلى نفوس سامعيه المريضة عندما قال : (ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها) ، وهو بهذا أشار إلى عدم إدراك عقولهم وسلطة أوهامهم على نفوسهم التي دفعتهم إلى إنكارهم حقه وعدم تصديقهم إياه [٣٤] ،وحمله هذا الأثر النفسي وحزنه إلى أن يدعو عليهم ثانيةً بقوله (ويل أمه كيلاً بغير ثمن) ، وقوله عليه السلام (كيلاً بغير ثمن) ، كما يقول ابن ميثم البحراني : ((إشارة الى ما يفيضه عليهم من الأخلاق الكريمة والحكم البالغة التي لا يريدها جزاءً ولا ثمناً ثم لا يفقهونها ولا يهذبون بها أنفسهم لكون نفوسهم غير مستعدة لقبولها)) [٣٥] .

وقد تبين لي مما تقدم أن الإمام علي عليه السلام كان شديد التأزم من موقف أصحابه ، فقد كشف لنا هذا الموقف أثره النفسي وعكسه في كلامه ، كما أنه عليه السلام حمله تأثره النفسي الذي عاشه في بيت النبوة وأحضان الرسالة المحمدية إلى أن يظهر جلياً في كلامه ، وهو لم يكتف بهذا ، بل عمد عليه السلام الى الإشارة بما فيه نفوس متلقيه كاشفاً لهم إياه من خلال حججه الدامغة التي تمثلت باستعماله تقنيات الخطابة من أساليب ، وصور بيانية ، وكلها كان متأنياً من النفس المنفعلة .

وبالعودة إلى خطبة الحجاج بن يوسف ودراستها ستبدو لنا معالم الموازنة ونتائجها ، فاذا ما تفحصنا خطبة الحجاج نجد أنها رغم قصرها الشديد أنه استعمل لفظة (سيف) أكثر من مرة إذ يقول مرة : ((هذا عمرو بن سعيد وحقه حقه وقرابته قرابته ، قال برأسه هكذا فلنا بسيفنا هكذا)) [٣٦] ، وبعدها يقول : ((ألا وإني لا أداوي هذه الامه الا بسيف)) [٣٧] ، وبعد ذلك يقول : ((والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه)) [٣٨] ، فهو يستعمل السيف والقتل ثلاث مرات على الرغم من قصر الخطبة ، وهذا يدل على عنف الحجاج في تعامله مع الأخرين ، وكما أثبت علمياً بأن ((من صفات الإنسان العنيف أنه ينفعل بسرعة كردّ فعل على موقف لا يعجبه)) ([٣٩]) ، وعلى هذا الأساس قالوا في تعريف الإنسان العنيف هو ذلك الإنسان الذي تظهر اثاره على ملامحه وأعضائه كما أنه يستخدم أسلوب القوة الزائدة عن المعتاد في التعامل مع الأخرين ليحقق هدفاً من أهدافه تحث التهديد وإلحاق الضرر المادي أو المعنوي بأولئك الآخرين [٤٠] ، وهذه النظرية العلمية ألصق ما تكون اذا ما تطبقها في خطية الحجاج ، فاستعمال الحجاج السيف وضرب الاعناق أكثر من مرة ما هو إلا كشف عن نفسه العنيفة والدموية ، ويصدقنا القول بذلك كتب التاريخ إذ ينقل أنه ((كان كثير قتل النفوس التي حرمها الله بأدنى شبهة وكان يغضب غضب الملوك)) [٤١] ، ولا شك في أن هذا السلوك عكس على كلامه إذ جعله يكثر من استعمال لفظة السيف والوعيد، فالانفعال النفسي الذي نجده عند الحجاج انفعالاً دموياً الذي ظهر ملامحه وأثره في إلحاحه الشديد بالتهديد والوعيد بالسيف وضرب الاعناق ، في حين كان انفعال الإمام علي عليه السلام انفعالاً ايجابياً اذ كان يدفعهم الى الجهاد في سبيل الله والحث عليه .

هذا وفضلاً عن أن الحجاج كان أسلوبه هجومياً ومتوعداً منذ بداية خطبته في حين كان الإمام علي ضابطاً لنفسه على الرغم من أن القوم وصفوه بي (الكاذب) ، فعمد عليه السلام بسرد حججه الدامغة على صدقه كيف أنه نشأ في بيت النبوة وأنه أول من آمن به وصدق رسوله ، بينما لجأ الحجاج الى استعمال الوعيد وضرب الاعناق .

وتجدر الإشارة إلى قضية مهمة وهي أن كلاً منهما الإمام علي ، والحجاج نجدهما متأثرين في خطبتهما بالقرآن الكريم وذلك باستعمالهما ألفاظاً قرآنية كإشارة الإمام عليه السلام إلى إيمانه بالله وتصديقه بالنبي عليه

الصلاة والسلام ، وكذلك الحجاج سوقه لفظة لغوب اذ هي مأخوذة من قوله تعالى : ((وما مسنا من لغوب)) [٤٢] ، إلا أن المثير أن تأثر الإمام علي عكس في نفسه المتسامحة في حين لم نجد اي أثر ديني متسامح في سلوك الحجاج .

الأمر الأخر والمهم يظهر عند عقد الموازنة بين النصين هو أن ما يهم الحجاج هو سلطته ومنبره الشخصي بدليل قوله (أيها الناس : انا نحتمل لكم كل لغوبة ما لم يكن عقد راية أو وثوباً على منبر) ، وهذا يدل على نفسه المتعطشة والهائمة بالسلطة لا غير ، في حين كان غاية الإمام علي همه الاول دفع أصحابه الى الجهاد في سبيل الله .

النتائج :

بعد تطبيق المنهج النفسي في الموازنة بين خطب العصر الإسلامي وخطب العصر الأموي ، الإمام علي بن ابي طالب والحجاج بن يوسف الثقفي أنموذجاً وصل الباحث إلى جملة من النتائج أهمها .

١- إن المنهج النفسي يربط الانتاج الابداعي بنفس مبدعه ، والظروف المحيطة به ، وبهذا يخضع النص لمؤثرات الحالة النفسية لمنتج النص

٢- إن عملية النقد وفق المنهج النفسي لم تكن أحادي الجانب ، إذ ثمة مرسل ومرسل إليه وما يربطهما الرسالة او النص

٣- إن الانفعالات النفسية التي كانت تظهر في كلام الامام علي كانت نتيجة موقف أصحابه لتخاذلهم عن الجهاد في حين انفعالات الحجاج كانت ناجمة بسبب خوفه على منبر السلطة .

٤- الأثر النفسي عند الامام علي كان يظهر في أساليبه التي تمثلت في توبيخ أصحابه فضلاً عن إقامة الحجة عليهم في حين أن الاثر النفسي عند الحجاج تمثل بالسيف والقتل وضرب الاعناق .

٥- نشأة الامام علي في بيت النبوة عكست في سلوكه المتسامح مع قومه في حين نشأة الحجاج في البيت الاموي الذي كان همه الاول الحرص على السلطة انعكست في استعماله الفاظاً عنيفة تنبئ بدمويته كالسيف والقتل والوعيد .

٦- تأثر الامام علي بالقرآن ظهر في سلوكه في حين تأثر الحجاج بالقرآن لم يظهر له ملامح في سلوكه .

٧- كان الامام علي يحمل نفساً هائمة الى الجهاد في سبيل الله في حين كان الحجاج يحمل نفساً متعطشاً بالسلطة والحرص عليها فحسب .

٨- كان الامام علي فضلاً عن انفعالاته النفسية يشير الى ما يحمله نفس متلقيه في حين الحجاج يبدو لي جيشانه النفسي فحسب .

٩- انفعالات الامام علي النفسية ايجابية في حين انفعالات الحجاج النفسية كانت سلبية .

الهوامش :

[١]- في النقد الادبي الحديث ، منطلقات و تطبيقات : ١٧٥
[٢]- ينظر : المصدر نفسه : ١٧٥
[٣]- في النقد الادبي الحديث والمذاهب الادبية :٦٧ ، ينظر : مدخل الى مناهج النقد الادبي : ٩٨ - ١٠٦
[٤]- في النقد الادبي الحديث ، منطلقات وتطبيقات : ١٧٥
[٥]- ينظر : دراسات في علم النفس الادبي : ١٤
[٦]- ينظر : المصدر نفسه : ١٥
[٧]- في النقد الادبي الحديث ، منطلقات وتطبيقات :١٧٥
[٨]- المصدر نفسه : ١٧٥
[٩]- ينظر : دراسات في علم النفس الادبي : ١٦
[١٠]- دراسات في علم النفس الادبي : ١٨
[١١]- ينظر : المضامين النفسية للأساطير في ادب بلاد الرافدين : ١٤٨
[١٢]- نفسه : ١٤٩
[١٣]- المضامين النفسية للأساطير في ادب بلاد الرافدين : ١٥٠
[١٤]- نفسه : ١٥٠
[١٥]- نفسه : ١٥٠ ، ١٥١
[١٦]- نفسه : ١٥٣ ، تحليل المضمون بين الالتزام الموضوعي والمضامين الذاتية : ٣ ، ٤
[١٧]- ينظر : نفسه : ١٥٢
[١٨]- نفسه : ١٥٣
[١٩]- نفسه : ١٥٣
[٢٠]- المضامين النفسية للأساطير في ادب بلاد الرافدين : ١٥٣ ، تحليل المضمون بين الالتزام الموضوعي والمضامين الذاتية : ٣ ، ٤
[٢١]- ينظر : نفسه : ١٥٣ ، ينظر نفسه : ٤
[٢٢]- ينظر : نفسه : ١٥٣ ، ١٥٤
[٢٣]- علم النفس في نهج البلاغة : ٩
[٢٤]- نهج البلاغة : ١٢٥
[٢٥]- الكامل لابن اثير : ٤ / ٣٩١
[٢٦]- نهج البلاغة : ١٧٥
[٢٧]- شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني : ١٩٣/٢
[٢٨]- ينظر : نفسه : ٢/ ١٩٣
[٢٩]- دراسات في علم النفس الادبي : ٤١
[٣٠]- نهج البلاغة : ١٧٥
[٣١]- الخطابة لأرسطو : ١٠٧
[٣٢]- ينظر : لسان العرب ، مادة (السوق)
[٣٣]- نهج البلاغة : ١٧٥
[٣٤]- ينظر : شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني : ١٩٣/٢
[٣٥]- نفسه : ١٩٣/٢

[٣٦]- الكامل لابن الاثير : ٤/ ٣٩١
[٣٧]- نفسه : ٤/ ٣٩١
[٣٨]- نفسه : ٤/ ٣٩١
[٣٩]- ثقافة العنف ومصادرها : ٣٠
[٤٠]- ينظر : نفسه : ٣٠
[٤١]- البداية والنهاية : ٩/ ١٣٨
[٤٢٤٢٤٢٤٢]- سورة ق : آية ٣٨

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم
٢- البداية والنهاية تأليف أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ ه ، تخريج وتحقيق : احمد جاد ، دار الحديث – القاهرة .
٣- ثقافة العنف ومصادرها ، حسن عبدالرزاق منصور ، أمواج للنشر والتوزيع ، عمان – الاردن ،ط ١ ، ٢٠١٣ م
٤- الخطابة لأرسطو ، ترجمة د. عبدالرحمن بدوي ، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والاعلام ، دار الرشيد ، ١٩٨٠
٥- دراسات في علم النفس الأدبي ، تأليف حامد عبدالقادر ، الاستاذ بكلية دار العلوم ، المطبعة النموذجية ، ١٩٤٩٦-
٦- _ شرح نهج البلاغة ، تأليف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني المتوفى سنة ٦٧٩ ه ، منشورات دار الثقلين ، بيروت – لبنان
٧- علم النفس في نهج البلاغة ، تأليف هاشم حين ناصر الحنان ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، ١٤١١ه ، منشورات دار الوفاق النجف الاشرف .
٨- في النقد الادبي الحديث والمذاهب الأدبية ، د. حسن الخاقاني ، ط ١ ، ٢٠١٠ م ، مكتبة الباقر للطباعة والاستنساخ والتجليد الفني .
٩- الكامل في التاريخ ، المؤرخ عز الدين علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير ، حققه واعتنى به الدكتور عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربية ، بيروت – لبنان
١٠-لسان العرب تأليف الامام ابن منظور الافريقي أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الانصاري الخزرجي المصري المتوفى سنة ٧١١ه ، دار النوادر
١١-نهج البلاغة المختار من كلام أمير المؤمنين لجامعة الشريف الرضي محمد بن الحسين بنموسى ، تحقيق السيد خاشم الميلاني ، دار التعارف للمطبوعات ، ط ٩ ، ١٤٣٣ ه – ٢٠١٢م

الرسائل والأطاريح :

- المضامين النفسية للأساطير في أدب بلاد الرافدين ، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الأدب في جامعة بغداد ، للباحث عباس فاضل عبد الواحد / قسم علم النفس ، ٢٠٠٨ م

البحوث

- تحليل المضمون بين الالتزام الموضوعي والمضامين الذاتية ، د. اسماعيل نوري الربيعي